من هَدي
الإمام الهادي
عليه السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

سورة يونس / الآية ٣٥

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين إقرارا لنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصا لربوبيته، والصلاة والسلام على محمد خير بريته، وعلى الأصفياء من عترته وأهل بيته عليهم السلام وبعد..

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، وكما هو معروف ومعلوم لدى كل مسلم ومسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى، وانه صرح في أكثر من مناسبة بأن الحبل الثاني متمثل في العترة الطاهرة، وهم خلفاؤه «اثنا عشر خليفة»، المتخلف عنهم هالك، والمتمسك بهم فائز، والعترة من أهل بيته عليهم السلام هم حملة الرسالة التي جاء بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من الله تعالى، وإنهم مسؤولون عن تبليغها بأحسن وجه، حتى يسير الخليفة بالأمة نحو الرقي والتقدم والسعادة في كلا الدارين، فكان دور الأئمة في قيادة المجتمع يتمثل في إنقاذ البشرية من مستنقع الرذيلة وهديه إلى رُبى الفضيلة وبذلك يَسعد و يُسعد، وبالتالي تنتعش الأمة بالإسلام فتُنعش به غيرها.

من الخلفاء الذين حملوا مشعل الهداية، الخليفة العاشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، الذي خلف آباءه في قيادة الأمة وهدايتها، ومن مهام قيادته رعايته المسلمين والاهتمام في جميع أمورهم، فكان الملاذ الآمن الذي يلجأ إليه الحيارى ومن ارتاب في أموره.. كان الإمام الهادي عليه السلام يوجه الأمة من خلال عدة وسائل، كاللقاء المباشر بعامة الناس، أو عن طريق الأبواب والوكلاء، أو عن طريق الكتب والرسائل والوصايا التي كانت تصدر إلى عموم المسلمين، فضلا عن مواعظه وحكمه و أدعيته التي لا تنفك بصدورها عنه عليه السلام، والتي تشمل وتغطي جميع المناسبات والأحداث، ونحن إذ نعيش هذه الأيام الرجبية المباركة، وبمناسبة ذكرى ولادة[1] واستشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام[2]، وانطلاقاً من حديث الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله من أحيا أمرنا»، وقوله

(١) - ولد الإمام الهادي عليه السلام في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وعلى اله الكرام في ضيعة لموسى بن جعفر عليه السلام في قرية تسمى(صريا) وذلك في الثاني من رجب أو الخامس عشر من ذي الحجة سنة مئتين واثنا عشر هجرية. أمه أم ولد يقال لها سمانة المغربية. وقيل في رجب سنة ٢١٤هـ./ انظر إعلام الورى بأعلام الهدى / الشيخ الطبرسي/ج٢ص١٠٩ و الأنوار البهية/ الشيخ عباس القمي / ص٢٧٣.

(٢) - انظر مناقب آل أبي طالب/ ابن شهرآشوب/ ج٣ص٥٠٥

عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء، ذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظا وافرا، فانظروا علمكم عما تأخذونه»[1]، سوف نتناول في بحثنا المتواضع هذا موعظة وحكمة لحديث الإمام الهادي عليه السلام والتي تفتح سبل الهداية والسلام أمام المسلمين لتبلغ بهم مرتبة نيل الدرجات الرفيعة والتزلف إلى الله تعالى، راجين العلي القدير أن يتقبل منا هذا القليل، إنه سميع مجيب.

(١) - الدعوات / قطب الدين الراوندي/ ص٦٣

الإمام الهادي عليه السلام يرأس المدرسة الجعفرية:

الإمام الهادي عليه السلام هو الإمام العاشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن الخلفاء الذين نصبهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من بعده لقيادة الأمة، وكان لأهل البيت عليهم السلام أسلوب معين في قيادة الأمة، وكان لمدرسة أهل البيت الفضل الأول والأخير في نشر تعاليم وأحكام الشريعة الإلهية، وكان الإمام عليه السلام هو الذي يرأس هذه المدرسة التي أفاض شعاعها ليعمّ العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وقد امتازت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالنمو والتوسع وذلك بتوسع اهتمام المسلمين في التفسير والعقائد والفقه وأمثال ذلك، بعد أن توسعت الحياة المدنية وازدادت الحاجة إلى الأحكام والقوانين وتفسير الآيات القرآنية بشكل صحيح ودقيق وإثبات السنة وفهمها خصوصاً بعد أن انتشرت الأفكار والعقائد والمفاهيم غير الإسلامية الوافدة من الأمم والشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام، كالأفكار العقائدية والفلسفات التي تسربت من اليهود والنصارى والمجوس والهنود واليونان عن طريق الاختلاط بهذه الشعوب التي أسلمت أو عن طريق الترجمة والنقل إلى العربية فضلاً عن نشوء المدارس الفقهية والعقائدية في المجتمع الإسلامي[1].

(١)- كمدرسة المعتزلة ومدرسة المرجئة في العقائد ومدرسة الرأي والقياس في

فكانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام مدرسة متميزة بين المدارس العديدة في آراءها ووجهات نظرها في الإمامة والخلافة والسياسة والفقه والتشريع فهي مدرسة علمية متكاملة وكان للإمام الهادي عليه السلام الدور العلمي البارز في إدارة هذه المدرسة العظيمة فكان الخط الرسالي للإسلام وكان مرجع أهل العلم والمعرفة وكان نشاطه ظاهراً في المحاور التالية:-

١- الدفاع عن أهداف الرسالة المحمدية، وذلك بمناظرة المنحرفين وأصحاب العقائد الفاسدة وإثبات فساد عقيدتهم وردعهم والتغلب عليهم، ونشر تعاليم الرسالة الحقة من خلال مدرسته في المسجد النبوي وفي بيته الذي قصده طلاب العلم والعلماء، وتميز الإمام عليه السلام عن آبائه عليهم السلام باتخاذ وسيلة المراسلة والكتابة وإيصال الأحكام وحلول المسائل إلى أقصى البلاد وقد توسع عمله في هذا المجال.

٢- اتخذ الإمام عليه السلام أسلوب الأبواب والوكلاء، لتساعد على حل المعضلات والأمور المشكلة بشكل سريع ودقيق فكان عثمان بن سعيد العمري احد أبوابه ومحمد بن عثمان العمري ووكلائه جعفر بن سهيل[1] وأبعدهم عن مركز الخلافة إلى

الفقه. ومدرسة التصوف في السلوك والأخلاق.

(١) - اتخذ الإمام عليه السلام طريقة الوكلاء تمهيداً لغيبة الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه.

الأمصار. وبكثرة أصحابه عليه السلام تم نشر تعاليم الإسلام الحقة في جميع الأمصار والمدن التي كانت يصعب عليها الاتصال بالإمام عليه السلام مباشرة[1]، وكانت تخرج الكتب من الإمام عليه السلام إلى النواحي بتعيين الوكلاء من وجهاء الشيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام.

٣- تصديه عليه السلام للغلاة، حيث ظهر الغلاة في عهد الإمام الصادق عليه السلام واستعادوا نشاطهم بعد أن خفت صوتهم بسبب موقف الإمام الصادق عليه السلام المتصلب منهم يوم كانوا قد ظهروا في عصره عليه السلام. وبعد توفر الجو الملائم لهم نشطت فكرة الغلو التي تساعد على تشويش و تشويه المعنى الصحيح للإمامة التي اختصها الله تعالى بتلك الصفوة المختارة من ذرية محمد صلى الله عليه وآله أولاد علي و فاطمة عليهما السلام. وقد تبنى تلك الأفكار الحكام وطغاة العصور، فقد ظهر علي بن حسكة الذي ادعى أن الإمام الهادي عليه السلام هو القديم الأول وإنه بابه ونبيه، فادعى البابوية والنبوة، فخرج تكذيبه ولعنه من قبل الإمام عليه السلام وكذلك لعن القاسم اليقطيني، ومحمد بن نصير النميري وفارس بن حاتم القزويني وحذر المسلمين من دسائسهم

(١) - من أصحابه عليه السلام صالح بن محمد الهمداني، الفتح بن يزيد الجرجاني، وبشر بن بشار النيسابوري، وسليم بن جعفر المروزي، معاوية بن حكيم الكوفي، وعلي بن معد بن معبد البغدادي، خيزران الخادم، إبراهيم بن إسحاق، يعقوب بن يزيد الكاتب، احمد بن إسماعيل بن يقطين وغيرهم

ومغرياتهم وكذلك صدر من الإمام عليه السلام فتوى بقتل فارس بن حاتم ويضمن للقاتل الجنة وذلك لأنه كان أخطرهم على الإسلام وأكثر في الدس والتضليل والبدعة[1].

٤- بث الحكم والمواعظ والوصايا وقصار كلماته التي كانت تعمل في نفوس الناس وتؤثر في سلوكهم فتضيء لهم درب الهداية، لتثبت الأقدام، وتبني الهمم، وتنشط الأرواح نحو الكمال الحقيقي، متحصنين عن الانحراف والرذيلة.

الإمام الهادي عليه السلام يُعلّم المسلمين:

الإمام المعصوم عليه السلام كان يحرص بكل ما أوتي من قوة وبيان على أن يجعل من أصحابه وشيعته ومن يتصل بهم دعاة حق وخير، يمثلون الإسلام ويجسدون تعاليمه بأفعالهم قبل أقوالهم، كما كان يحرص على تنزيه تعاليم الإسلام من التشويه والتحريف والافتراء، ويفهم من يتصل به أو جماعته، أنه عبد الله، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شراً، ولا يجلب لها خيراً إلا بمشيئة الله، وقد تعرض الإمام عليه السلام في حياته لظلم الحكام واضطهادهم، وعلى الرغم من ذلك فقد أمر محبيه

(١) - انظر خاتمة المستدرك / الميرزا النوري/ ج٤ص١٤١

بالاعتدال، لا إفراط ولا تفريط، وأرشد مبغضيه بالرجوع إلى وصايا النبي ﷺ في أهل بيته عليهم السلام وعترته، وخرج من هذه الدنيا وهو من أنصح خلق الله لخلقه و أحرصهم على دينه وشريعته وأصبرهم على بلائه وأخوفهم من سخطه وعقابه، ولذا كان الإمام عليه السلام محور حركة الدين الإسلامي، يوجه هذا وينصح ذاك، ويعلم فلان، ويرشد آخر، ومن هذا نذكر حديثه مع أبي دعامة قال: «أتيت علي بن محمد عليه السلام عائدا في علته التي كانت وفاته بها، فلما هممت بالانصراف قال لي: يا أبا دعامة قد وجب عليّ حقك ألا أحدثك بحديث تُسَرّ به؟

فقلت له: ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله ﷺ.

قال: حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني أبي علي بن موسى قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني أبي علي بن الحسين قال: حدثني أبي الحسين بن علي قال حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا علي اكتب.

فقال: ما أكتب؟

فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، والإسلام ما جرى على اللسان، وحلت به المناكحة.

قال أبو دعامة: فقلت: يا ابن رسول الله والله ما أدري أيهما أحسن؟ الحديث أم الإسناد؟

فقال: إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب عليه السلام وإملاء رسول الله ﷺ نتوارثهما صاغر عن كابر[1].

كما أنه كان عليه السلام يُعلم المسلمين مقام الإمامة وملازمتها الإيمان، معرفاً نفسه وآبائه وأبنائه من الأوصياء المعصومين في كل مناسبة وحادثة، ومن ذلك نذكر حديثه عليه السلام سندها السلسلة الذهبية، قال عليه السلام: بسنده عن آبائه عليهم السلام، عن جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يلقى الله عز وجل آمنا، مطهرا، لا يحزنه الفزع الأكبر، فليتولّك يا علي، وليتولّ ابنيك الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن

(١) - مكاتيب الرسول ﷺ/ الأحمدي الميانجي/ ج٢ص١٦٤

بن علي، ثم المهدي وهو خاتمهم، وليكونن في آخر الزمان قوم يتولونك يا علي، يشنأهم الناس، ولو أحبوهم كان خيرا لهم لو كانوا يعلمون، يؤثرونك وولدك على الآباء والأمهات والإخوة والأخوات، وعلى عشائرهم والقرابات، صلوات الله عليهم أفضل الصلوات، أولئك يحشرون تحت لواء الحمد، يتجاوز عن سيئاتهم، ويرفع درجاتهم جزاء بما كانوا يعملون»[1].

موعظة وحكمة

قال الإمام الهادي عليه السلام: «الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون»[2].

حكمة تربوية عالية المضامين، يحث فيها الإمام الهادي عليه السلام المسلمين على الالتزام بها، فالعمل الصالح يؤدي بالعبد إلى الربح العظيم، يشرط أن يتجنب العمل الطالح الذي يؤدي إلى الخسران المبين، وللحديث مداليل لفظية واسعة، يمكن من خلالها والتدبر في الحديث الوصول لبر الأمان والحصول

(١) - موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام - الحاج حسين الشاكري - ج ١٤ - ص ٢٤٨ - ٢٤٩

(٢) - بحار الأنوار / العلامة المجلسي / ج٧٥ص٣٦٦

على الربح الأكيد، ونحن بصدد طلب مضامين الحديث لابد لنا أن نقف على استنارة المعصوم عليه السلام وفيها ما يريده الله تعالى من عباده في الحياة الدنيا، من حيث إنها دار البلاء والاختبار والعمل.

الدلالة اللفظية للحديث يمكن أن نفهم منها ما يأتي:

١. أن الدنيا أشبه بالسوق.

٢. إن الناس في الأسواق يتحركون من أجل الكسب.

٣. بيان من الرابح من الناس ومن الخاسر.

الدنيا أشبه بالسوق

شبّه الإمام عليه السلام الدنيا بالسوق، وذلك لاحتواء الأسواق مختلف الناس، ومن مختلف الأجناس والقوميات، وكذلك فيها الداخل والخارج باستمرار، وفيها البائع والشاري، وفيها التاجر والفقير، وتقام فيه مختلف المعاملات.

وإن للدنيا مثل ما للأسواق، فيها الغني والفقير، وفيها البائع والشاري، ويدخلها قوم، ويرحل عنها آخرون.

الناس في الأسواق يتعاملون من اجل الكسب المادي

يفتح العامل في السوق محل تجارته وعمله كل يوم لغرض التكسب المادي من خلال البيع والشراء، ويتم التعامل بمختلف المعاملات التجارية. وهنا يطرح السؤال الآتي: كيف تتم هذه المعاملات وفي ضوء أي معايير ومقاييس تنجز معاملاتهم لدى أهل السوق؟ أفي طاعة الله تعالى أم في طاعة الشيطان , و حركة الناس في هذه الأسواق أفي رضا الله تعالى أم في رضا الشيطان؟

الرابح والخاسر

لابد في كل معاملة يقوم بها الإنسان يكون هناك ربح أو خسارة، فمن هو الرابح في الدنيا التي شبهت بالسوق؟ ومن هو الخاسر؟

وقبل معرفة إجابات الأسئلة المذكورة لابد أن نعرف المنهج الذي وضعه القرآن الكريم لعموم التعاملات وسلوكيات العباد التي تؤدي بهم إلى النجاة والربح الدائم الذي لا تشوبه خسارة أبدا، وهذا المنهج يتكون من أربعة أصول:

الأصل الأول: «الإيمان»

وهو البناء الباطني لكل نشاطات الإنسان، لأن فعاليات الإنسان العملية تنطلق من أسس فكره واعتقاده، لا كالحيوانات المدفوعة في حركاتها بدافع غريزي.

و بعبارة أخرى، إن أعمال الإنسان بلورة لعقائده وأفكاره، فالإيمان مثل مصباح منير مضيء في غرفة ما, فهو لا يضيء الغرفة فحسب، بل إن أشعته تسطع وتمتد من كل نوافذ الغرفة إلى الخارج بحيث يرى نوره بوضوح , وهكذا حينما يسطع مصباح الإيمان في قلب إنسان، فإن نوره ينعكس من لسان الإنسان وعينه وأذنه ويديه ورجليه وفي سكناته وفي كل حركة من حركاته و ما تفعله جوارحه تشهد على وجود ذلك النور في القلب, ومن هنا اقترن ذكر العمل الصا لح في أغلب مواضع القرآن الكريم بذكر الإيمان باعتبارها لازما وملزوما, قال سبحانه وتعالى: «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة»[1]. وقال تعالى عن أولئك الذين تركوا الدنيا دون عمل صا لح، إنهم يصرون على العودة إلى الدنيا ويقولون: «رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت

(١) - سورة النحل / الآية ٩٧

»[1]، و قال سبحانه لرسله: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا»[2].

الأصل الثاني: «العمل الصالح»

وهو ثمرة دوحة الإيمان، وهو الفعل السلوكي الذي يبنى على الأصل الأول «الإيمان»، إذ أن العمل الصالح يتقوّم بجمع الوظائف الدينية و الأخلاقية كافة، لا في الصلاة فقط، بل لا بالعبادات فحسب ، ولا الإنفاق في سبيل الله وحده، ولا الجهاد في سبيل الله فقط، ولا الاكتفاء بطلب العلم.. إذ أن كل واحد منها لا يبني الفرد الصالح، بل إن الوظائف الشرعية المعبر عنها بالعمل الصالح هي التي من شأنها أن تدفع إلى تكامل النفوس وتربية الأخلاق والقرب من الله تعالى، وتتقدم بالمجتمع الإنساني ، هذا التعبير «العمل الصالح» يشمل الأعمال الصغيرة، كرفع الحجر من طريق الناس والأعمال الجسام مثل إنقاذ ملايين الناس من الضلالة والانحراف ونشر الرسالة الحقة و تحقيق العدالة في أرجاء العالم.

(١) - سورة المؤمنون/ ٩٩

(٢) - سورة المؤمنون / الآية ٥١

وقد تصدر الأعمال الصالحة من أفراد غير مؤمنين، لكنها غير متجذرة وغير ثابتة وغير واسعة ولا تحمل صفة الشمولية، لأنها لا تنطلق من دافع الإيمان المطلوب.

الأصل الثالث: «التواصي بالحق»

أي الدعوة العامة إلى الحق، ليميز كل أفراد المجتمع الحق من الباطل، ويضعوه نصب أعينهم، ولا ينحرفون عنه في مسيرتهم الحياتية.

التواصي بالحق هو أن يوصى بعضهم بعضا بالحق أي باتباعه والدوام عليه فليس دين الحق إلا اتباع الحق اعتقادا وعملا، والتواصي بالحق أوسع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشموله الاعتقاديات ومطلق الترغيب والحث على العمل الصالح، ثم التواصي بالحق من العمل الصالح [1]

و «الحق» في الأصل الموافقة والمطابقة للواقع، وذكر للكلمة معان قرآنية متعددة من ذلك، القرآن، والإسلام، والتوحيد، والعدل، والصدق، والوضوح، والوجوب وأمثالها من المعاني التي ترجع إلى نفس المعنى الأصلي الذي ذكر. وعبارة تواصوا بالحق تحمل على أي حال معنى واسعا يشمل الأمر بالمعروف

(١) - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٢٠ - ص ٣٥٧

والنهي عن المنكر ويشمل أيضا تعليم الجاهل وإرشاده، وتنبيه الغافل، والدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح. كما أن المتواصين بالحق يجب أن يكونوا بدورهم من العاملين به، والمدافعين عنه [1].

الأصل الرابع: «التواصي بالصبر والاستقامة»

إذ بعد الإيمان والحركة في المسيرة الإيمانية تبرز في الطريق العوائق والموانع والسرور. ومن دون الاستقامة والصبر لا يمكن المواصلة في إحقاق الحق والعمل الصالح والثبات على الإيمان.

«الصبر» يعطي مفهوما واسعا يشمل الصبر على الطاعة، والصبر على دوافع المعصية، والصبر إزاء المصائب والحوادث المرة، وفقدان الإمكانات والثروة والثمرات[2].

وبالصبر ضبط النفس عن الشهوات، وقد أمر الله تعالى

(١) - انظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي تف- ج ٢٠ - ص ٤٤٠

(٢) - انظر نفس المصدر/ ج٢٠ ص ٤٣٨ - ٤٤١

بالصبر واثنى على الصابرين في عدة مواضع من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [2].

وقال عز من قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [3]، وقال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [4]، إلى غير ذلك من الآيات، وكذلك أمر الله تعالى عبادة الاستعانة بالصبر، وكما قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [5]، وتوفية الأجر بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [6]، وقد ورد في السنة النبوية واحاديث أهل البيت منازل ودرجات الصابرين، كما جاء في حديث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصبر ثلاثة، صبر

(١) - سورة الأنفال / الآية ٤٦

(٢) - سورة البقرة / الآيات ١٥٥ – ١٥٦ - ١٥٧

(٣) - سورة النحل / الآية ٩٦

(٤) - سورة القصص / الآية ٥٤

(٥) - سورة البقرة / الآية ٤٥

(٦) - سورة الزمر / الآية ١٠

عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش»[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد»[2].

هذه الأصول الأربعة جاءت مجتمعة في سورة العصر المباركة، وفي الالتزام بهذه الأصول نجاة من الهلكة وفوز وربح في الدنيا والآخرة.

كم هو دقيق تشبيه الإمام الهادي عليه السلام الدنيا بالسوق، فلو التزم أهل السوق هذه الأصول لما خسر أحد، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يغتدي كل يوم بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقا سوقا، ومعه الدرة على عاتقه، فيقف على أهل كل سوق فينادي: «يا معشر التجار! اتقوا الله عز وجل! فإذا سمعوا صوته ألقوا

(١) - انظر التحفة السنية /السيد عبد الله الجزائري / ص ٤٣

(٢) - شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ٨ - ص ٢٨٨

ما في أيديهم وارعوا إليه بقلوبهم وتسمعوا بآذانهم، فيقول: « قدموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين» [1].

عَود على بدء

نعود إلى جواب السؤال.. مَن الرابح ومَن الخاسر؟

قطعاً أن الرابح من الناس في هذه الدنيا، هو من وضع الأصول الأربعة التي ذكرت نصب عينيه لا يفارقها أبدا، فإنها تؤدي إلى فعل كل فضيلة، واذا كان الوصف القرآني في سورة العصر، يضع كل الناس في خسر إلا فريق واحد يسير ضمن منهج العمل الصا لح، فأنه يبدل هذا الخسران إلى ربح كبير ومنفعة عظيمة، نعم يخسر رأس ماله إلا أنه يعوض بما هو أغلى وأنفس وهو رضا الله تعالى.

ثم أن هناك خسران كبير يمر به الفرد ناتج عن تقربه

(١) - النهاية / الشيخ الطوسي/ ص٣٧١ - ٣٧٤

لأجله، وكل نفس من أنفاس الإنسان يقربه خطوة نحو الموت، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «نَفَسُ المرءِ خُطاهُ إلى أجله»[1]، ومن المعروف إن الإنسان يخسر عمره شاء أم أبى، حيث تمر الساعات والأيام والأشهر والسنين، فتضعف قواه المادية والمعنوية ، وتضمحل قدرته شيئاً فشيئاً وباستمرار، ثم أن الإنسان مثله مثل شخص عنده ثروة عظيمة وهذه الثروة يؤخذ منها كل يوم رغم إرادته، هذا قانون الحياة الدنيا، وهذا هو الخسران المستمر، فالقلب له قدرة معينة على الضربات، وحين تنفذ هذه القدرة يتوقف القلب تلقائياً من غير علة أو عيب، وهكذا ينفذ القانون على سائر الأجهزة الأخرى وقدراتها المختلفة.

هناك من ينفق رأس مال عمره وحياته مقابل الحصول على مال قليل أو كثير، على بيت صغير أو فخم.

هناك من ينفق كل رأس المال هذا من أجل الوصول إلى منصب أو مقام، وهناك من ينفقه في سبيل أهوائه وملذاته.

ليس أي واحد من هذه الأمور - دون شك - يمكن أن يكون

(١) - الميزان / السيد الطباطبائي/ ج١٤ ص١١٣

ثمنا لتلك الثروة العظيمة.. ثروة العمر.. ثمنها الوحيد رضا الله سبحانه وتعالى والحصول على مقام قربه لا غير. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا ا لجنة فلا تبيعوها إلا بها»[1] ، فإذا انصرم عمر ابن آدم في طاعة فذلك هو الفوز العظيم، قال تعالى: «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل ا لجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور »[2]، هذا هو الفوز العظيم، ثم إن الإمام عليه السلام يؤكد في جملة من أحاديثه أن الفوز في الدنيا والآخرة هو ملازمة المعصوم الذي يرشد العباد إلى معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وأوصيائه عدل كتاب الله تعالى، ونحن نذكر في هذا المعنى رواية فتح بن يزيد ا لجرجاني حيث قال: ضمني وأبا الحسن طريق منصرفي من مكة إلى خراسان وهو سائر إلى العراق فسمعته وهو يقول: من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يطاع، قال: فتلطفت إلى الوصول إليه، فسلمت عليه فرد علي السلام وأمرني با لجلوس وأول ما ابتدأني به أن قال: يا فتح من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فليوقن أن يحل به

(١) - مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي الشاهرودي/ ج ٣ ص٣٦٦

(٢) - آل عمران / الآية ١٨٥

الخالق سخط المخلوق، وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به، جل عما يصفه الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيف الكيف فلا يقال كيف، وأيّن الأين فلا يُقال أين، إذ هو منقطع الكيفية والأينية.

هو الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فجل جلاله، أم كيف يوصف بكنهه محمد، وقد قرنه الجليل باسمه، وشركه في عطائه، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته إذ يقول: «وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله»[1].

وقال: يحكي قول من ترك طاعته وهو يعذبه بين أطباق نيرانها وسرابيل قطرانها: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾[2] أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم بطاعة رسوله حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

(١) - سورة التوبة / الآية ٧٤

(٢) - سورة الأحزاب / الآية ٦٦

وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[2]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[3]، وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

يا فتح كما لا يوصف الجليل جل جلاله والرسول والخليل وولد البتول فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم لأمرنا، فنبينا أفضل الأنبياء، وخليلنا أفضل الأخلاء، و[وصيه] أكرم الأوصياء، واسمهما أفضل الأسماء، وكنيتهما أفضل

الكنى وأحلاها، لو لم يجالسنا إلا كفو لم يجالسنا أحد، ولو لم يزوجنا إلا كفو لم يزوجنا أحد، أشد الناس تواضعا، أعظمهم حلما، وأنداهم كفا، وأمنعهم كنفا، ورث عنهما أوصياؤهما علمهما، فأردد إليهما الأمر وسلم إليهم، أماتك الله مماتهم، وأحياك حياتهم، إذا شئت رحمك الله.

قال فتح: فخرجت فلما كان الغد تلطفت في الوصول إليه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت: يا ابن رسول الله أتأذن

(١) - سورة النساء /٥٩

(٢) - سورة النساء / الآية ٧٦

(٣) - سورة النساء / الآية ٥٨

(٤) - سورة النحل / الآية ٤٣

لـي في مسـألة اختلـج في صـدري أمرها ليلتي، قال: سـل وإن شـرحتها فلـي، وإن أمسـكتها فلي، فصحح نظـرك وتثبت في مسـألتك، واصغ إلى جوابها سمعك، ولا تسـأل مسألة تعنت واعـتن بما تعتني به، فإن العالم والمتعلم شـريكان في الرشـد، مأمـوران بالنصيحـة، منهيان عـن الغش، وأما الـذي اختلج في صـدرك ليلتك فإن شـاء العالم أنبـأك بإذن الله، إن الله لم يظهـر علـى غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسـول، فكل ما كان عند الرسول كان عند العالم، وكل ما اطلع عليه الرسول فقد اطلـع أوصياؤه عليـه، كي لا تخلو أرضه مـن حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته، وجواز عدالته.

يا فتح عسى الشيطان أراد اللبس عليك فأوهمك في بعض مـا أودعتـك وشـككك في بعـض ما أنبأتـك حتـى أراد إزالتك عـن طريـق الله وصراطـه المسـتقيم، فقلت: مـن أيقنت أنهم كذا فهـم أرباب؟ معاذ الله إنهم مخلوقـون مربوبون مطيعون لله، داخـرون راغبون، فإذا جاءك الشـيطان من قبل ما جاءك فاقمعه بما أنبأتك به،

فقلـت: جعلـت فداك فرجت عني وكشـفت ما لبـس الملعون علي بشـرحك فقد كان أوقع بخلدي أنكم أرباب، قال: فسجد

أبو الحسـن عليه السلام وهو يقول في سـجوده: «راغما لك يا خالقي داخرا خاضعا» قال: فلم يزل كذلك حتى ذهب ليلي، ثم قال: يـا فتـح كـدت أن تهلك وتهلك، ومـا ضر عيسـى إذا هلك من هلك، فاذهب إذا شئت رحمك الله.

قال: فخرجت وأنا فرح بما كشـف الله عني من اللبس بأنهم هم، وحمدت الله على ما قدرت عليه، فلما كان في المنزل الآخر دخلت عليه وهو متكئ، وبين يديه حنطة مقلوة يعبث بها وقد كان أوقع الشـيطان في خلدي أنه لا ينبغي أن يأكلوا ويشـربوا إذ كان ذلك آفة والإمام غير ذي آفة؟

فقـال: اجلـس يا فتح فإن لنا بالرسـل أسـوة كانـوا يأكلون ويشـربون ويمشـون في الأسـواق، وكل جسـم مغـذو بهـذا إلا الخالق الرازق لأنه جسّـم الأجسـام وهو لم يجسـم، ولم يجزأ بتنـاه، ولم يتزايـد، ولم يتناقـص، مـبرّء من ذاتـه ما ركب في ذات من جسمه، الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، منشـئ الأشـياء مجسم الأجسام، وهو السـميع العليـم، اللطيـف الخبـير، الـرؤوف الرحيـم، تبارك وتعـالى عمـا يقول الظالمون علوا كبيرا، لو كان كما يوصف لم يعـرف الرب من المربـوب، ولا الخالق من المخلوق، ولا المنشـئ

من المنشأ ولكنه فرق بينه وبين من جسمه، وشيّأ الأشياء إذ كان لا يشبهه شيء يرى، ولا يشبه شيئا[1].

حبّ الدنيا

يمر الإنسان في الدنيا مدة من الزمن حياته فيها قصيرة وان طالت، وهذه الحياة فيها موت، وان اللذات والسعادات فيها سريعة الزوال، والحياة الآخرة هي حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، ونعيم بلا شقاء، واعظم من ذلك لقاء الله تعالى ورضاه، والى ذلك أشارت الآية الكريمة التالية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، ثم إن حب الدنيا يأتي من طول الأمل، فأن الإنسان إذا أنس في الدنيا وبلذاتها صعب عليه مفارقتها، وأحب دوامها وأطالت تعميرها، فينشغل عن ذكر الموت الذي هو سبب مفارقتها، ولا يزال يمني نفسه البقاء في الدنيا، والمخطئ فيها يتمادى في غيه ويعرض عن التوبة أو يعرض عن الإقبال على أعمال البر التي تحيي الآخرة، وعندها يكره الموت، لأنه اشتغل في عمارة

(١) - انظر بحار الأنوار / الشيخ المجلسي /ج٥٠ص١٨٠

(٢) - سورة الجمعة / الآية ٦

الدنيا ونسي الآخرة وذكرها، وكما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال: جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب.

فقال له: فكيف ترى قدومنا على الله؟

فقال: أما المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء منكم فكالآبق يرد على مولاه.

قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟

قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إن الله يقول:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[1].

قال: فقال الرجل: فأين رحمة الله؟

قال: رحمة الله قريب من المحسنين[2].

إذن كيف نتخلص من حب الدنيا؟

(١) - سورة الانفطار/ الآية ١٤ - ١٥

(٢) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٤٥٨

يمكننا أن نقضي على حب الدنيا ونتحرز من الوقوع في المعصية، هو أن نبدأ يومنا بذكر الله ونحمده على كل حال ونديم هذا الذكر حتى آخر يومنا، ونذكر الموت وانتقالنا إلى عالم الآخرة فكفانا بالموت واعظاً، وكم هو لطيف قول أمير المؤمنين عليه السلام فيجمع لنا ما نبغي في قصار كلماته حيث قال: «لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب ولا خوف أشد من الموت، وكفى بما سلف تفكرا، وكفى بالموت واعظا»[1]، فانه لا يؤلم القلوب ويهلكها إلا الذنوب، ثم انه لا يوجب البعد من الله تعالى إلا الذنوب المكتسبة من الأعمال الرذيلة، ولا خوف أشد من الموت، لأن الخوف إنما هو من ألم، والموت ألم شديد مع ما يعقبه من الآلام التي لا علم بالنجاة منها قطعا، وكفى بما سلف تفكرا، فإن من تفكر فيما سلف من أحوال القرون وفيمن أنس بالدنيا فغرتهم ووثقوا بها فصرعتهم وعصوا فيها فدمرتهم فأخرجوا من دورهم وحملوا إلى قبورهم فأنزلوا شر الدار وأدخلوا بئس القرار وألبسوا سرابيل القطران وعذبوا بمقطعات النيران، حصلت له ملكة الصبر على الطاعة وفضيلة التحرز عن المعصية فيتذكر ما كانوا عنه يغفلون ويحذر عما كانوا به يعلمون، وكفى بالموت واعظا

(١) - شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ٩ - ص ٢٥٥

لأنه يقرع الآذان بحديث الفناء ويخبر الإنسان بعدم البقاء ويقبح الشغل بالدنيا لسرعة زوالها ويشنع معصية المولى لشدة نكالها ويتعظ بمواعظها من هو سديد أو ألقى السمع إلى زواجرها وهو شهيد[1].

وأخيرا..

ليكن همنا الأول والأخير تعمير دار الآخرة وإنعاشها بالأعمال الصالحة التي نقوم بها في هذه الدنيا الفانية، ولنقتنع بصدق إنا لا نرجو من الدنيا والعيش فيها الا ان نطيع الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وأوصياءه، فان في طاعتهم طريق النجاة والربح العظيم الدائم الذي لا زوال له، بل الخلود إلى ما شاء الله تعالى، ولتكن الدنيا دار متاع نتزود منها التقوى، مقتدين ومتأسين باهل بيت الرحمة عليهم السلام، فإن الدنيا المعتبرة عند أهل البيت عليهم السلام هي التي تكون معبرة يعبر بها إلى الآخرة كما دل عليه قولهم: « الدنيا مزرعة الآخرة » فالدنيا عندهم ما يهيئ به المؤمن أمر آخرته ويجعله وسيلة

(١) - نفس المصدر

إلى تحصيل فوائدها وذريعة إلى تكميل عوائدها، وظاهر أن هذه الدنيا لا يمكن استقامتها ولا يتيسر استفادتها من دون العقل، إذ غير العاقل لا يأمن وقوعه في الشبهات وورود على المحرمات واستقراره في المهلكات، واليك مقطع من وصية الإمام الكاظم عليه السلام إلى هشام بن الحكم في بيان زكاة العمل، حيث قال عليه السلام:

«يا هشام كيف يزكو» أي كيف يطهر عن أعراض الدنيا وشوائب النقصان أو كيف يزيد وينمو عند الله «عملك وقد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك» بالتسليط المذكور في الكلام المتقدم يعني لا يكون عملك طاهرا ومطهرا أو ناميا زاكيا عند الله تعالى وأنت على هذه الصفة لأنك إذا قمت بين يديه وقلبك ليس متوجها إليه بل يكون شاغلا عن أمر الله وفارغا عن ذكر الله وغافلا عن عظمة الله وتاركا لأحكام العقل ومقتضاها وتابعا للنفس الأمارة وهواها[1].

(١) - شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ١ - ص ١٥٤ - ١٥٥

وندكر أيضاً بعض ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام في شأن الدنيا وكيفية العيش فيها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فليتزود العبد من دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «اتركوا الدنيا لأهلها فإنه من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر»[2].

عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «بالدنيا تحرز الآخرة»[3].

وقال عليه السلام: «بئست الدار لمن لم يتهيأها ولم يكن فيها على وجل، إن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملا، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا

(١) - ميزان الحكمة / محمد الريشهري / ج٢ص٨٩١
(٢) - كشف الخفاء / العجلوني / ج١ص٣٨
(٣) - نهج البلاغة / الخطبة ١٥٦

بالسعي فيها أمرنا»[1].

وعنه عليه السلام: الدنيا لمن تركها والآخرة لمن طلبها[2].

وعنه عليه السلام: الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها [3].

وعنه عليه السلام: «أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم»[4].

وقال: «خلقت الدنيا لغيرها»

وقال عليه السلام: «هؤلاء أنبياء الله وأصفياؤه تنزهوا عن الدنيا... ثم اقتص الصالحون آثارهم... وأنزلوا الدنيا من أنفسهم كالميتة التي لا يحل لأحد أن يشبع منها إلا في حال الضرورة إليها، وأكلوا منها بقدر ما أبقى لهم النفس وأمسك الروح، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتد نتنها، فكل من مر بها أمسك على فيه، فهم يتبلغون بأدنى البلاغ...إخواني، والله

(١) - نهج البلاغة / من خطب الإمام علي عليه السلام / ج٣ص١١٢
(٢) - كنز الفوائد / أبو الفتح الكراجكي / ص ١٦٠
(٣) - مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي الشاهرودي/ ج٣ص٣٧٢
(٤) - بحار الأنوار / الشيخ المجلسي/ ج٧٠ ص١٣٤

لهي في العاجلة والآجلة - لمن ناصح نفسه في النظر وأخلص لها الفكر - أنتن من الجيفة، وأكره من الميتة، غير أن الذي نشأ في دباغ الإهاب لا يجد نتنه ولا تؤذيه رائحته ما تؤذي المار به والجالس عنده»[1].

الإمام الصادق عليه السلام: «نعم العون الدنيا على الآخرة»[2].

وقال عليه السلام: «ما منزلة الدنيا من نفسي إلا بمنزلة الميتة، إذا اضطررت إليها أكلت منها»[3].

(١) - ميزان الحكمة / محمد الريشهري/ ج٢ ص٨٩٣
(٢) - منتهى المطلب / العلامة الحلي / ج٢ص٩٩٨
(٣) - وسائل الشيعة / الحر العاملي / ج٤ ص ١٠٤

الفهرس

المقدمة..... ٣

الإمام الهادي عليه السلام يرأس المدرسة الجعفرية..... ٦

الإمام الصادق عليه السلام يُعلّم المسلمين ٩

موعظة وحكمة ١٢

الدنيا أشبه بالسوق ١٣

الرابح والخاسر ١٤

الأصل الأول: «الإيمان» ١٥

الأصل الثاني: «العمل الصالح» ١٦

الأصل الثالث: «التواصي بالحق» ١٧

الأصل الرابع: «التواصي بالصبر والاستقامة» ١٨

عَودٌ على بدء ٢١

حُبّ الدنيا ٢٨

وأخيراً ٣١